نشأة النقد الأدبي

وأطواره عند اليونانيين القدماء

د. محمد سلامة صالح
أستاذ مساعد للأدب والنقد الأدبي
كلية اللغة العربية بالمنوفية

بسم الله الرحمن الرحيم

« ربنـــا آتنـــا من لدنك رحمـــة وهيىء من أمرنا رشـــداً » ..

(صدق الله العظيم)

« نشأة النقد الأدبى وأطواره عند اليونانيين القـدماء »

مقـــدمـــة

حمدا لله رب العالمين ، وصلاة وسلاما على أشرف المرسلين وبعد :

فسأتناول ــ بتوفيق الله ــ فى هـذا الموضوع النقـد بمعنـاه العام وبالمعنى الأدبى ، متبعا ذلك بكلمة موجزة عن الأدب اليـونانى توطئة لموضوعنا « نشأة النقـد وأطواره عند اليونانيين القـدماء » ، معقبا بكلمة أخيرة ، مستلهما توفيق المولى عز وجل .

د. محمد سـلامة صالح
أستاذ الأدب والنقد المساعد
كلية اللغة العربية ــ جامعة الأزهر
فرع المنوفية

معنى النقد

من معانى النقد فى اللغة تمييز الجواهر وغيرها كالنتعاد والانتقاد ، والتنقد ، وناقدت فلانا اذا ناقشته فى الأمر ، ونقد الشيء ينقده نقدا اذا نقره باصبعه ، ونقد الشيء بنظره نقدا اختلس النظر اليه(١) .

النقد الأدبى

ونتساءل الآن ، وقد اتضح لنا مفهوم كلمة « النقد » بمعناها اللغوى ، هل يختلف هذا المفهوم عن معناها فى الأدب؟

الواقع أننا حين نمضى مع الباحثين لا نجد خلافا بين المفهومين ، فالبغدادى(٢) يصرح فى كتابه(٣) بأن النقد يبحث فى تخليص جيد الشعر من رديئه .

فمفهوم الكلمة اذن متقارب عند أهل اللغة مع مفهومها فى الأدب فنقد الأدب دراسته والنظر فيه ، هو ينقد بعينه الى الشيء يديم النظر اليه باختلاس ، حتى لا يفطن اليه ، كما أن نقد الأدب : مناقشة العمل الأدبى ، واستخلاص عناصر الجمال التى أدت الى سموه ورفعته

---

(١) دكتور بدوى طبانه : دراسات فى نقد الادب العربى ج ١٧ ، ١٨ ط ٤ مكتبة الانجلو المصرية بالقاهرة سنة ١٩٦٥ م وراجع لسان العرب ج ٤ ص ٤٢٦ والقاموس ج ١ ص ٣٤١ والمصباح ٢/١٢٥ ومختار الصحاح ٦٧٥ .

(٢) ابو الفرج قدامة بن جعفر البغدادى احد علماء القرن الرابع الهجرى .

(٣) نقد الشعر (طبعة بونياكر — بريل : ليدن) سنة ١٩٦٥ ط ٢ .

ـ ناقـدت فلانا فى الأمر اذا ناقشته فيه نقـدت الدراهم اذا نظرتها لتعرف جيدها من رديئها ، فنقـد الأدب : « ابراز ما فيه من عيوب ـ كما تبرز ما فيه من محاسن »(١) .

ومن أقوال الرسول صلى الله عليه وسلم : « ان نقـدت الناس نقـدوك ، وان تركتهم تركوك » .

وفى النقـد اشادة باجداد المجيد ، وثلب للمقصر المسىء ولمـا كانت « مادة » النقـد فى الأدب هى الشعر والنثر بانواعهما وكان الأدب أسبق فى الوجود من النقـد ، وموضوعنا :

« نشأة النقـد اليونانى وتطوره » لزم اذن أن نستعرض فى ايجاز يسير مميزات الأدب اليونانى ، مجاوزين ذلك ـ ان شاء الله ـ الى الحـديث عن نشأة النقـد اليونانى وتطوره .

مميزات أدب اليونان

نشأ كل فن من فنون الأدب اليونانى نشأة سليمة قـويا فى بنائه ، واضحا فى خطته ، متميزا فى أساليبه ومرد ذلك فى الواقع الى أن العقلية اليونانية عقلية منطقية منظمة : « فكما أنهم كانوا يفرقون بين ما ينبغى أن يكون عليه المعبد ، وما ينبغى أن يكون عليه الملعب ، ولا يقيمون أحـدهما على غير الصورة الملائمة لـه كذلك حال تفكيرهم المنطقى بينهم وبين أن يخلطوا بين المـأساة والمسلاة ، أو بين الحماس والفلسفة ، أو بين الشعر الوجـدانى ، والشعر التعليمى ، فوضعوا كلا منها على قواعـد تتفق مع طبيعته ، وما ينبغى أن يكون عليه »(٢) .

---

(١) راجع : دراسات فى النقـد الادبى ص ٢٣ .

(٢) دكتور على عبد الواحـد وافى الأدب اليونانى القـديم ودلالته على عقائد اليونان ونظامهم الاجتماعى ص ٥٨ دار المعارف بمصر سنة ١٩٦٠ م .

وتبعا لذلك فان أدبهم يتميز بمميزات متعـددة نجملها فيما يلى :

فهو أدب يتدرج فى ارتقائه تدرجا طبيعيا منظما عاريا من الطفرة ، بعيدا عن الثورات العنيفة ، ويصدق ذلك على جميع ثنونه ، من شعر ونثر ، ومن خطابة وحماسـة أو غنـاء وفلسـفة ، ومن تأليف وأدب مسرحى .

ثم هو أيضـا أدب اغريقى صـميم ، فمعظم فنونه من اختراع اليونان أنفسهم ، فالشـعر الحمـاسى ، والأدب المسرحى بقسـيمة « التراجيدى » و « الكوميدى » والفلسفة بمعناها الصحيح المعبر ، كل ذلك من وضع اليـونان أنفسـهم ، كذلك كان لكل فن أدبى عنـدهم أساليب مضبوطة يمتاز بها عما عداه ، فالشعر الحماسى يمتاز بشخصية معينة لا يشاركه فيها غيره ، والشعر التعليمى لـه قواعـده ونظمه ، وهكذا الشعر الغنائى ، و « التراجيديا » و « الكوميديا » والفلسفة .

وفى هـذا ـ كما يعلل الأستاذ الدكتور على عبد الواحـد وافى « أكبر دليل على دقة العقلية اليونانية ، وما كانت تمتاز به من منطق سليم »(١) .

لذلك ليس غريبا ـ كما سبق أن ذكرت ـ أن ينشأ الأدب اليونانى قوى البناء ، واضح الأساليب .

والآن نجاوز هذه الكلمة العابرة الموجزة الى ما نحن بصدده من الحديث عن :

---

(١) المصـدر السابق ص ٥٨ .

« نشأة النقـد وأطواره عند اليونانيين القـدماء »

النقـد فن طبيعى فى حياة الانسان متى أوتى حظا ولـو يسير من الادراك والشعور ، فهـو ينشأ معه وليدا فى فجر طفولته ، ويشب معه يافعا فى شبابه ، تصقله تجاربه التى يمر بها ، وتنميه معـارفه الانسانية التى يتلقاها فى مراحل حياته .

فالنقـد غريزة فى الطفـل الصغير يميز بذوقه بين الحلو والمـر ، وبين الجمال والقبح ، وبين الألوان المختلفـة ، ويستحسن بعض الأصوات ، فيبدى بها اعجابه ، ويستقبح البعض الآخر فيظهر سخريته بها واستياءه ، وما الى ذلك من المدركات الحسية التى يقـدر بعضها فيألفه ويحاكيه ، ويمج بعضها الآخر فينفر منه وينقـده .

فالنقـد اذن ينشأ مبكرا مع الانسان فهو طبيعة فيه بيـد أن « النقـد الأدبى » ينشأ فى أولى مراحله مضطربا ساذجا ، ثم يتدرج شيئا فشيئا حتى يتخـذ صورته الكاملة فيصبح نقـدا فنيا قائمـا على أسس فنية ، ومعايير متفق عليها تتناول الأجناس الأدبية ، وألفاظها ومعانيها ، وصلتها بالحقيقة والمجتمع ، وطريقة عرضها ، وما الى ذلك ممـا تعارف عليه النقاد .

وسنتتبع فيما يلى مراحل النقـد وأطواره فى البيئة اليونانية ، ومميزات كل مرحلة منها .

(أ) النقـد الانشائى

حين نقرأ « الالياذة » أو « الأوديسا » (لهوميروس) الذى نظمهما فى القرن التاسع قبل الميلاد ، فنؤخـذ بسهولة الأسلوب ، وروعته ، وجمال العرض لا نكاد نشك فى أن هـذا النضج ثمرة تهـذيب طويل

أخـذ به الشاعر نفسه فى تنقيح قصائده ، أو تحسينها حتى بلغت من روعـة واستواء ، ولعل هـذه هى أولى مراحل النقـد الأدبى يقول الدكتور (محمد غنيمى هلال) : « وأقـدم صورة للنقـد الأدبى نقـد الكاتب ، أو الشاعر لما ينتجه ساعة خلقه لعمله يعتمد فى ذلك على دربة ومران ، وسعة اطلاع ، وتقتصر أهمية هـذا النوع من النقـد على الخلق الأدبى ، فكل كاتب كبير هو ناقـد بالفعل ، أو بالقوة »(١) .

واليونانيون القـدماء بما أوتوا من أدب وفن ، وما رزقـوا من ذوق وجمال هم أسبق الناس محاولة للنقـد الأدبى ، اذ هـو ملازم للأدب فى مهـده ، بيد أنه بدأ عندهم : « ساذجا ، ثم أخـذ يتعقـد شيئا فشيئا حتى أخـذ شكله النهائى عند « أرسطو » ، وسنستطيع أن نتبين أولى صوره فى ذلك الجهـد الخصيب الذى كان يبذله الشـعراء القـدماء فى أناشيدهم وملاحمهم أثناء عصر البطولة والأساطير »(٢) .

فهـذه أولى مراحل النقـد الأدبى ، وهى مرحلة انشائية لم تقم على أسس فنية ثابتة ، ولم ترتبط بنظريات منهجية معينة ، أو قواعـد خاصة متعارف عليها ، وانما هى مجرد تنقيح تقتصر أهميته على الخلق الأدبى ، وليست نقـدا بالمعنى الدقيق للنقـد الذى يراد به تقـويم النص الأدبى بالقيم الفنية .

(ب) النقـد الذوقى

فى هذه المرحلة تتضح أولى خطوات النقد الأدبى ، وهى مرحلة النقـد الـذى كان يجـرى على ألسنة الرواة ممـن كانوا يتتبعون « هوميروس » و « هيسيود » يروون للناس أشعارهما ، فيصلحون ما

---

(١) النقـد الأدبى الحـديث ص ٤ .
(٢) د. شوقى ضيف : فى النقـد الأدبى ص ٩ ط ٢ ، دار المعـارف بمصر سنة ١٩٦٦ م .

يرونه من قصور يتصل باللفظ والمعنى ، أو بالوزن والانشاء يعتمدون على ما وهبوا من ذوق ، وما رزقوا من حس وفطنة ويعقب الأستاذ « أحمد الشايب » على صنيعهم هذا بقوله : « وكان منهم الرواة والمتعصبون ، كما كان بين الشعراء المتنافسون والمتسابقون ، وكانت هذه الملاحظات النقدية قائمة على الذوق الساذج دون أن تكون هناك أصول نقدية مقرره يرجع اليها النقاد »(١) .

وهذا الصنيع فى رأى الدكتور « شوقى ضيف » : « هو الخطوة الأولى فى النقد بمعناه الحقيقى الذى يحاول أن يزن النص الأدبى ، ويصور قيمته »(٢) .

فهى مرحلة تدرجب بالنقد ، ومهدت لتدوين أصوله — وهى فى يقينى — وان اعتمدت على الذوق — الا أنه ذوق أدبى له أهميته وخطورته ، كما أنها تناولت النص الأدبى من وجوه مختلفة .

(جـ) التدوين

ويمضى الرواة فى تمحيص النصوص وبحثها متداولين ما فيها من فن أخاذ ، وروعة ساحرة ، لافتين الأنظار الى ما قد يشوبها من ضعف ، أو قصور الى أن يأتى القرن السادس قبل الميلاد فيعمد اليونانيون الى تدوين نصوصهم شأن كل الأمم فى تدوين آدابها وقيمها ، فاذا هذا التدوين خطوة لها أهميتها فى النقد الأدبى ، واذا تلك النصوص وقد وضعت بين أيدى الباحثين ، فأصبحت مجالا للنظر الثاقب ، والبحث الدقيق ، وما تكاد تغرب شمس القرن السادس قبل الميلاد الا وينبثق فجر القرن الخامس قبل الميلاد عن واقع جديد

---

(١) اصول النقد الأدبى ص ١٠٦ مكتبة النهضة المصرية ط ٧ ، سنة ١٩٦٤ م .

(٢) فى النقد الأدبى ص ٩ .

من الشعر اليونانى الخالد ذلك هـو الشعر التمثيلى ، فأين النقـد من هـذا الوافـد الجـديد ؟

كان مرد النقـد فيه بادىء الأمر الى الجمهور يرضى فيهدأ معبرا عن اعجابه ورضاه ، أو يسخط فيموج ويضطرب مبديا استياءه بمـا يسمعه ويراه . الى أن كان المحكمون ، وكانت الجوائز فـ ، هيأ ذلك لرقى حاسة النقد عند اليونان كما هيأ لرقى فن التمثيل ، وكان من آثاره أن تطورت المسرحية ، فلم تعد تقتصر على وصف حيـاة الآلهـة ، وانصاف الآلة من الأبطال ، بل تعـدت ذلك الى وصف الحياة اليونانية ، وما كان يضطرب فيه اليونان من أحـداث وأهواء ، وعواطف متباينة ، وتناول شـعراء التمثيل موضـوعات الحيـاة الاجتماعية والسياسية والفلسفية والأدبية بالنقـد والتهكم اللاذع »(١) .

(د) بين القـدماء والمجـددين

وتأبى الفلسفة الا أن تخضع العقل اليونانى لهـا ، وأن تحـول بينه ، وبين الخضوع لآلهة الالياذة وغيرها من شعر الملاحم القـديم ، ويتصدى « أريستوفان » للفلاسفة ، فينظم ملهاة السحب ممثـلا فيها « سقراط » منكرا للآلهـة ، مسـتخفا بهم ، ناصرا للباطل على الحق ويطول الصراع بين الشعراء والفلاسفة ، ويأخذ الجدل مداه وتتسع الهوة بين دعاة الجديد ، وأنصار القديم شأن كل المعارك التى تنشـأ بينهما فى مستهل كل نهضة من النهضـات فبينا نجـد فريقـا يتشبث بالقديم ، ويتمسك به ، اذ بنا نجد فريقا آخر يتعصب للجديد ، ويدعو له ، هذا « أريستوفان » ينظم ملهاة الضفادع متنـاولا فيها مشـكلة الجديد والقديم جاعـلا من « ايسخولوس » رمزا للقـديم ، ومن « يوريبيد » رمزا للجـديد ، ومـع أنه أثار مسألة الجـديد والقـديم

---

(١) فى النقـد الأدبى ص ١٠ .

فى النقـد معتمدا على كثير من الشواهـد والنصوص ، ومع محاولة تعصبه للقـديم الا أنه لم يسلم من التأثر بالفلاسفة دون أن يتنبـه الى ذلك ويعنينا من كل هـذا تلمس ما جـد من نقـد اذ « نلمس عند (أريستوفان) تطور النقـد عند اليونان ورقيه ، فلم يعد مقصورا على شيء من الاصلاح والتهـذيب يتناول الشعر أثناء روايته ، أو تدوينه ، بل أصبح يثير مشاكل الشعر الأساسية ، ويجيب عليها »(١) .

فنحن اذن أمام طفرة جـديدة فى النقـد ، ومنزع واحـد فى الفكر حتى لكأن الحياة بأكملها قد استحالت من شتى الوجوه ، وماجت بمختلف الآراء ، فقـد « ظهرت آراء ونظريات فلسفية أثارت الشـك فى الوثنية ، وفيما ورثه اليونان من أفكار ، فظهر جيل جـديد ينكر سابقة ، واشتد التناكر بين جيلى القرن الخامس حتى أثمر طائفـة المجـددين فى الأدب وبخاصة فى المـآسى ، وكتبت قصص نقـدية تنعى على الأقـدمين مذاهبهم فى فهم التمثيل ، وفى أساليبه وعباراته ، وفى موضوعاته ومعانيه »(٢) .

ونمضى مـع البحث متابعين الحـديث عن تطور النقـد الأدبى عند اليونان ، فاذا بنا نشرف على غايته ، واذ به يسلمنا الى مرحلة لهـا حظها من الازدهار ، ولهـا تأثيرها على آداب أمم مختلفة من يونان الى رومان ، بل انها امتدت فشملت الأدب العـربى القـديم ، بل والأوربى الحـديث أيضا تلك هى :

(ه) مرحلة النقـد عند الفلاسفة

وهى مرحلة نقـدية من جهة الموضوع والغاية معا فالموضوع يجب

---

(١) فى النقـد الادبى ص ١٢ .
(٢) أصول النقـد الأدبى ص ١٠٧ .

أن يكون « الحقيقة » ، والغاية يجب أن تكون « هادفة » ثم ينبغي عندهم أن تكون اللغة معروفة للناس متسمة بالدقة والوضوح .

لكن متى ؟ وكيف بدأت تلك المرحلة ؟

واضح أنها بدأت من عهد (سقراط) و (أفلاطون) أي قبل الميلاد بخمسة قرون بدأت بسؤال القاه (سقراط) على شعراء عصره ماذا تريدون بهذا الشعر ؟ فعجز الشعراء عن تفسير أشعارهم ، بينما أجاب عنهم نفر من المعجبين بهم ، وبأشعارهم ، واذ قد عجز الشعراء عن فهم شعرهم ، فهم يقولونه وحيا من الآلهة من غير وعي والشعراء اذن كالأنبياء والكهان ، وسط بين الآلهة والبشر(١) .

وقبل أن نؤخذ بغرابة منطق (سقراط) نفاجأ بشرح (أفلاطون) ان العواطف الانسانية العليا تقترن بنوع من النشوة تطغى على العقل تماما كنشوة النبوة والتصوف ، والشعر والحب ، وأنها كلها الهامات الهية(٢) .

فالالهام اذن مصدر الشعر عند (سقراط) و (أفلاطون) وتلك مسألة من صميم النقد الأدبي ، ومسألة أخرى يثيرها (أفلاطون) على لسان (سقراط) في محاورة (ايون) وهي الفرق بين موقف الشعر ، وموقف العلم والعقل من الأشياء ،وينتهي من المحاورة بأن المنشد كالشاعر لا يصدر الا عن موهبة الهية : « وكان (أفلاطون) يقصد أن يقرر أن مقدرة الشاعر على تأليف شعر في شيء ما غير مقدرة المرء على شرح نفس الشيء شرحا عقليا ، وأن للشعر ليس هدفه الشروح العلمية للأشياء »(٣) .

---

(١) من محاضرات في النقد الأدبي للدكتور محمد نايل بعنوان اتجاهات وآراء في النقد مطبعة الماسية سنة ١٩٦٥ م .
(٢) نفس المصدر .
(٣) النقد الادبي الحديث ص ٢٦ .

ويخرج أفلاطون من ذلك الى نظرية المحاكاة ، فالحقيقة عنده موضوع العلم ، وهى فى المثل ، والمثل وجود مستقل ، وما ندركه ليس الا خيالات لعالم المثل .

وهو يتخذ من نظريته تلك هجوما عنيفا للشعر فهو لا يحاكى الطبيعة طبق الأصل ، فللوجود عنده ثلاث دوائر دائرة المثل ، ودائرة العالم المحسوس ، ثم دائرة الفنون والشعر ، فهى محاكاة لمحاكاة :

« وربما دفعه الى ذلك أنه أراد أن يهدم الشعر لما فيه من انحراف عن الأخلاق الجيدة فأتاه من هذا الطريق يريد أن يشنوعه ، ويحط من قدره ، وقدر أصحابه »(١) .

ولعلنا حين نجاوز (أفلاطون) الى فيلسوف آخر يقرأ لهذا وذاك ، ويستمع لهذه الطائفة من العلماء وتلك ، ثم يتخذ لنفسه منهجا دراسيا خاصا حتى تقف له الأجيال المتعاقبة على فكر خالد فى أصول البلاغة والنقد ذلك هو الفيلسوف (أرسطو) .

نجد النقد الأدبى ، وقد أصبح يافعا فتيا ، وماج بشتى النظريات التى تناولت الشعر ، كما تناولت النثر ، وقد وقفنا فى ثنايا هذا البحث على رأى (سقراط) و (أفلاطون) فى الشعر ، وعرفنا أن الشاعر انما يصدر عن وحى والهام ، أما (أرسطو) فلم ير فى الشعر الا أنه صناعة ، وفن يحتاج الى تعب وجهد ، ولهذا أوضح كثيرا من الأصول والقوانين فى كتابه الشعر »(٢) .

وهو يعرض فى كتابه هذا للشعر الحماسى والهجائى فهما أولى خطوات الشعر التمثيلى ، وعنهما تفرعت المأساة والملهاة ، وهما فنيا

---

(١) فى النقد الادبى ص ١٥ .
(٢) عن محاضرات الاستاذ الدكتور محمد نايل المشار اليها سابقا .

أرقى من الشعر الحماسى ، والشعر الهجائى ولهـذا يطيل الحـديث عن المـأساة ، أما الملهاه فأغلب الظن أن حـديثه عنها قـد فقـد ، ويبدو أنه أهمل الشعر الغنائى لارتباطه بالموسيقى عند اليونان .

(د) المحاكاة عنـد أرسطو

الشعر عنده ضرب من المحاكاة لكنها لا تنطبق مع الأصل تماما ، فليست محاكاة آلية ، بل فيها أيضا مواهب الشاعر وأفكاره ، وتظهـر مهارته فى الرد على (أفلاطون) وهـدم نظرية المحاكاة عنده بتقسيمه الفنون ، فهى وان كانت تحاكى الطبيعة الا أنهـا تنقسم الى قسمين : فمنها ما يحاكيها شكلا ولونا ، وهـو التصوير والنحت ، ومنها ما يحاكيها بالصوت ، وهو الرقص والشعر والموسيقى ووسيلة المحاكاة عنـده اللغة ، وما فيها من نبرات وأوزان وموضوعها محاكاة أعمال الناس فى أسلوب قصصى .

فـ « الشعراء اما أن يصوروا الطبيعة الانسانية خيرا مما هى ، أو شرا ممـا هى ، أو بعبارة أخرى ، اما أن يصوروا الناس خيرا مما هم ، أو شرا مما هم ، وفى الحالة الأولى ينظمون الشعر القصصى ، ثم المـأساة ، وفى الحالة الثانيـة ينظمون الشعر الهجـائى ثم الملهـاة »(١) .

وخلاصة رأيه فى محاكاة الشعراء أنها ليست طبق الأصل ؛ اذ يدخل فيها البناء الخيالى للشاعر ثم يتحـدث (أرسطو) عن أشعار الملاحم والمـآسى فهما يشتركان فى موضوع واحـد هو أعمال الناس ، ويختلفان فى طريقة محاكاته ، فأشعار الملاحم تعتمد على وزن خاص تتقيد به ، ولا تتحـدد بزمن معين ، ولذلك كانت الملحمة تطول طـولا

(١) فى النقـد الأدبى ص ١٩ .

مسرفا ، بخلاف المـأساة التى تختلف عنها فيما يصاحبها من أوزان وأنغام ، وارتباط بوحـدة زمنية قصيرة ، واتصلت بهـذه الوحـدة وحـدة للحـدث ، كما اتصلت بها وحـدة المكان »(١) .

(ز) المـأساة عند أرسـطو

هى عنده « محاكاة فعل نبيل تام ، لهـا طول معلوم بلغة مزودة بألوان من التزين تختلف وفقا لاختلاف الأجزاء ، وهـذه المحاكاة تتم بواسطة أشخاص يفعلون ، لا بواسطة الحكاية ، وتثير الرحمة والخوف فتؤدى الى الطهير من هـذه الانفعالات »(٢) .

فهى تنفى عاطفتى الرحمة والخوف ، وتعالجهما ، وواضح أن (أرسطو) « يرد بهـذه النظرية على (أفلاطون) وما زعمه من أن المـأساة تجعلنا عاطفيين وضعفاء ، فأجابه بأنها تنقى عواطفنا ، وتطرد ضعفنا ، واذن فهى لا تتعارض مع الأخلاق ، بل تطهرها وتزكيها »(٣) .

وأجزاء المـأساة عنده ستة : « الحكاية والشخصية ، والفكر ، والمنظر المسرحى ، والعبارة ، والنغم الموسيقى ، وما يصحبه من انشاد الجـــوقة »(٤) .

ووحـدة الحـدث أهم شىء عنده فى المـأساة ، اذ هى بمثابة الروح من الجسد .

ثم يتحـدث عن شعراء الملاحم ، والشعر القصصى ، ويرى :

---

(١) المرجع السابق ص ١٩/٢٠ .
(٢) أرسطوطاليس فن الشعر ترجمـة عبد الرحمـن بدوى ص ١٨ طبع مكتبة النهضة المصرية سنة ١٩٥٣ م .
(٣) فى النقـد الأدبى ص ٢١ .
(٤) المرجـع السابق .

« أنه يشبه المأساة من حيث أنه محاكاة عن طريق القصص ، غير أن الشاعر يرويه ، ولا يقدم عن طريق المسرح ، وأيضا فانه يشبه المأساة من حيث اعتماده على حدث قصصى واحد تطرد فيه وحدة تامة »(١) .

فهو يرى فى شعر الملاحم أن يكون كلا غير مجزأ كالكائن العضوى ، وهو حينئذ حدث قصصى كامل غير أن الملحمة لا يتحكم فيها طول ، ولا زمن ، ووزنها يختلف عن أوزان المأساة ، ولا يقترن بها تمثيل ، ولا حركات ، أو اشارات مما يقترن بالمأساة لكنه حكم للمأساة بالتفوق على شعر الملاحم لما يصحبها من تمثيل يضفى عليها جمالا وحيوية ، وهى لذلك تثير عاطفتى الخوف والرحمة أوسع مما تثيرهما الملحمة ...

ونستخلص مما مضى أن أولى مراحل النقد اليونانى لم تكن فنية مقننة ، أو ذات قواعد متعارف عليها ، وانما هى مرحلة انشائية .

وأن المرحلة الثانية كانت مرحلة ذوقية الى أن وضع الفلاسفة قواعد للنقد فمضى حينئذ الى غايته نقدا فنيا ـــ وهى مرحلة نقدية من جهة الموضوع والغاية معا .

كلمة أخيرة

هل المعاد فى محاكاة الطبيعة للعقل ؟ أم للعاطفة والذوق ؟

الواقع أن الحقائق العلمية ، والنظريات الجبرية والرياضية لا دخل فيها للعاطفة ، أو الذوق ، وانما مجالها العقل .. فالبرهنة على أن

(١) نفس المرجع ص ٢٤/٢٥ .

الخطين المتوازيين لا يلتقيان تحتاج الى عمـل عقـلى ، وكذلك مساحة المربع ، أو المستطيل ، أو التوصل الى معرفة المجهول عن طريق النظريات الجبـرية ، أما الفنون والآداب فكيف نعتبرها فنـا اذا جردناها من العاطفة ، أو الذوق ، وأخضعناها للعقل ونظرياته ؟ !!! فليس العماد فى محاكاة الطبيعة للعقل ، بل تستجيب له قواعد العلوم فتخضع له ، أما الفنون فمردها الى العاطفـة الجياشـة ، والذوق المرهف ، فاذا استرعت العقل فمن جهة المضمون ، لا من الوجهة الفنية ، والأمثلة على ذلك كثيرة ، فالرسام فى رسمه للصورة متأثرا بعاطفتى الفن والذوق ، وكذلك الموسيقى فى محاكاته للأصوات ، فمحاكاة الطائر فى تغريده ، أو الرعـد فى هزيمه ، أو الرياح فى زئيرها ، كل ذلك فن لا يخضع لقواعـد العقل ونظرياته .. فالغلام البائس الذى نشاهده ، ونحاول أن تصوره فى قصة مثلا .. فاننا نتصور موت والديه ، أو انجرافهما ، اوشذوذه ، وربما لم يقـع ، ولكن الواقع لايأباه ، فاذا تجرد الأديب من روعة الخيال ، وسمو العاطفة ، أو خلا من الفن والذوق كان مؤرخا لا كاتبا ولا شاعرا ..

وبعـد ..

فان جناحى الأديب : عاطفة حادة ، وخيال محلق وعماد الفيلسوف : عقل مفكر ، وبحث عميق فكيف يلتقيان !!!

١٥ جمادى الأولى سنة ١٤١١ هـ

٣ ديسمبر ١٩٩٠ م

د. محمد سلامة صالح